كلمة البروفسور الأب سليم دكّاش اليسوعيّ، رئيس جامعة القدّيس يوسف، في احتفال تسليمه جائزة الرئيس الياس هراوي، يوم الاثنين الواقع فيه 11 تمّوز (يوليو) 2016، في الساعة السادسة مساءً، في مدرّج بيار أبو خاطر، حَرَم العلوم الإنسانيّة.

السيدة رندة برّي ممثلة دولة رئيس مجلس النواب،

السيدة لمى سلام ممثلة دولة رئيس مجلس الوزراء،

فخامة الرئيس، السيدات الأُول،

أصحاب الدولة والمعالي والسعادة والسيادة،

سيادة المطران بولس مطر ممثلاً غبطة البطريرك،

Son Excellence Le Nonce Apostolique

أيها الحفل الكريم،

خير الكلام في بداية الكلام يكون بتوجيه آيات الشكر والامتنان إلى من شرّفوني بهذه الجائزة، جائزة فخامة الرئيس هراوي، فأدلُّ دلالةً على السيّدة الأولى منى هراوي، رئيسة لجنة **إحياء ذكرى** الرئيس، وأعضاء اللجنة وهم في خانة الأصدقاء. إلاّ أنيّ، كما قلت لهم يوم بشّروني بأنيّ المختارُ للجائزة، لم أفعل شيئًا يجعلني مستحقًّا لها، فإنيّ أقوم برسالتي التربويّة في بعدها الوطني وهي ثقيلة فلا تحمّلوني ثقلاً إضافيًّا. وبالفعل أَحمِلُ هذه الجائزة عبئًا لأنّ فيها مسؤوليّة على قدر مساحة الوطن الذي أراده وأحبّه فخامة الرئيس. إلاّ أنّ الشكر من القلب، باسمي وباسم الجامعة اليسوعيّة والرهبانيّة اليسوعيّة التي أنتمي إليها، هو واجب ركنٌ، وشعيرة من شعائر الإيمان. ولن أنهي شكري من دون النظر إليكم جميعًا أنتم الرسميّون والأصدقاء والأحبّاء

والأهل والأخوة في الجامعة وقدامى الجامعة وطلاّبها وأساتذتها وموظّفيها، الذين أتيتم لهذا الاحتفال الرائع الذي زادته روعةً جوقةُ الجامعة الأنطونيّة وكلماتُ المقدّمين والمحاضرين.

وإذ أعود إلى معنى الجائزة، فإنّما أرى فيها، بما فيها من دلالات معنويّة وماديّة، تكريمًا من فخامة رئيسٍ لجمهوريّة كافحت وتكافح من أجل حياة أبنائها، أرى فيها تحيّةً دافئة لأولئك الذين كرّسوا النفس والعقل والقلب والمهارات كافّة منذ عشرات السنين لبناء صروح التربية اللبنانيّة المدرسيّة والجامعيّة، منذ أواسط القرن التاسع عشر، إيمانًا منهم بها وبمفاعيلها. وكذلك، أرى فيها تأكيدًا لإبقاء شعلة التربية والتعليم متّقدة في بلادي عِبَر من جعلوا من المدرسة تحت السنديانة وبجوار الكنيسة والمسجد فعلاً بعد قول وحوّلوا النهج التربوي إلى أداة صنع الموارد البشريّة الكفوءة والرأسمال اللبناني الذي ضاقت به حدود الوطن، فانتشر وسع الكون وفي ثناياه، حاملاً الألم والأمل، الألم برؤية لبنان أسير الأزمات بعد الأزمات، ضائعًا بعض الشيء، والأمل بأن تنجلي الغيوم السوداء فتحلَّ مكانها رايات السلام والوئام.

نستمطر آيات الرحمة على فخامة الرئيس الذي قال يومًا في السنة 1996، يوم انطلاق خطّة النهوض التربوي، وكنتُ بين الحاضرين آنذاك : "لا حياة للبنان من خارج التربية المنفتحة. فالمطلوب هو ليس ترسانات تعليميّة في لبنان بل منارات تجتهد من أجل بناء لبنان والإنسان". وأرى، إستنادًا إلى ما قرأته حديثًا في كلمات ومواقف الرئيس هراوي، أنّ للتربية في لبنان، أربع رسالات وأهداف : التميُّز والجودة، والتشبُّث بالميثاق، والإيمان بالدولة فعلاً لا تصريحًا، والنضال من أجل المشاركة والديموقراطيّة.

وأقول **أوّلاً** إنّ التربية والتعليم في لبنان إمّا أن يكونا على قاعدة التميُّز والجودة أو لا يكونا حتى لو وضعنا نصب أعيننا قاعدة أخرى هي حقّ الجميع في التعلُّم والاكتساب وهذا ما تقوم به كثير من المؤسّسات الخاصّة ومنها جامعتنا اليسوعيّة وهو واجب وطنيّ عليها. هكذا أرادها المؤسّسون في الجزء الثاني من القرن التاسع عشر، أكانوا من أهل الحكمة أو عين ورقة أو اليسوعيّة أو الأميركيّة أم من المقاصد والعامليّة. هي تربية على الانفتاح اللّغوي والثقافي والروحي، وهي تمسّكٌ، في الوقت عينه بالأصالة والهويّة والانتماء. فمن تمسّك واعيًا بتراثه وهويّته انفتح طوعًا على تراث الآخرين وثقافتهم. هي تربية وتعليم على أحدث النظريّات

العلميّة والوسائل التكنولوجيّة والمنهجيّات العالميّة إلاّ أنّها في الوقت نفسه تعطي معنى للحياة الشخصيّة والجماعيّة وتعزّز مكانة القِيَم والأخلاق الدينيّة والإنسانيّة. إنّها التربية التي تبني الإنسان ذا الثقافة الرياديّة والشخصيّة القياديّة المنفتحة على الآخرين. لنسمع الرئيس هرواي في هذا المضمار قائلاً : "نريد تعليمًا ينفع البلد وأبناءنا اللبنانيّين حيثما وُجدوا وكي يبقوا المتفوّقين حيثما عملوا. فالمعهد أو المركز الجامعي لا يستمدّ قيمته من هويّة صاحبه أو طائفته بل من مستوى الوظيفة التي يؤدّيها خرّيجو هذه المؤسّسة التعليميّة". أفلا نسمع اليوم حقيقة الأمس وهي حقيقة اليوم بأنّ التعليم في لبنان ليس ترفًا بل هو علامةُ ثقة بالمستقبل، والتربية ليست سلعة تجاريّة ؟ كما يضيف الرئيس، "بل هي دعامة نهوض واستقرار، فمعًا نعلي من شأن لبنان بالتربية ذات التميُّز والجودة، ومثالنا في ذلك تلك السلسلة الطويلة من الناجحين عالميًّا من أبناء وخرّيجي جامعاتنا الراسخة في التاريخ والوطن.

وأقول **ثانيةً** إن لا تربية حقّ في بلادي إلاّ تلك التي تؤمنُ بالميثاق الوطني الجامع بين اللبنانيّين في إطار الشراكة والعدالة، تلك التربية وأولئك المربّون الذين يعملون على بناء الجسور القويّة في كلّ وقت مناسب ليلتقي عليها أجيال الغد والذين يمنعون بناء الأسوار التي تمنع الإنسان من رؤية جاره. أنحني أمام المربّي والمعلّم إجلالاً لا فقط لأجل نوعيّة دروسه في الرياضيّات أو في الجغرافيا بل أكثر من ذلك عندما يربّي على الثقة والحوار واحترام الأخلاق وتقدير التعدّديّة وبناء المواطنيّة في المواطن وتمتين العيش المشترك. هذا هو الوطن العربي حولنا، كما لبنان بالأمس، يشنّ الحروب بعضه على البعض نقضًا للآخر المختلف، فَتُقتَل الإنسانيّة وتزداد البغضاء، من هنا، ضرورة أن يستفيق هذا الوطن، كما أفاق لبنان، فيعي أنّ لا طريق لشعوبنا ولنموّنا وتطوّرنا واستقامة حياتنا السياسيّة إلاّ بالميثاق واحترام الميثاق، لا بالاستقواء على الآخر إو إعادة التفاوض عنوةً على الميثاق. وأضيف أنّ التربية الميثاقيّة تحذّر من استثمار السياسة في الطائفة وفي الطائفيّة، والتلاعب بها بحيث إنّ الفساد والطائفيّة ليسا سببًا بل نتيجة لسلوك الفاسدين والطائفيّين. فالميثاق ليس مجرّد خيار سياسي ظرفيّ بيننا، بل إنّه خيار إجتماعي نحتاه بتقاليدنا وقِيَمنا الثقافيّة والعائليّة والمُدُنيّة المشتركة، ومعنى الميثاق هو أن نَقُرَّ بأنّ العيش المشترك هو مصيرنا، فلا نقبل إلا به مستقبلاً وطنيًّا جامعًا ودستورًا ينظّم حياتنا السياسيّة الجماعيّة.

وأقول **ثالثة** إنّ التربية والمعلّم، ولنا في ذلك نماذج قريبة منّا هي سرُّ نجاح الدولة التي هي خادمة للجميع على شرط أن يكون كلٌّ واحد منّا خادمًا لها لا بالأقوال والألفاظ فقط بل بالأفعال، والتربية فعلٌ أوّل وأخير. أنظروا حوالينا فهناك دولٌ لم تكُن أو شبه كانت ولكنها بالتعليم وبالروح القياديّة الناتجة عن التربية وبقِيَم التربية المضافة، أكانت من الداخل أو آتية من الخارج ومن لبنان بالتحديد، أصبحت دولاً تُحترم ولها مكانتها في التاريخ، فماذا يقول التاريخ عنّا وماذا تقول الأجيال اللبنانيّة اللاحقة عنّا حيث تعطّلت لغة كلام الدولة ومؤسّساتها اليوم وأيّما تعطيل ؟ أستشهد هنا بما قاله الرئيس يومًا : "بناء الدولة هو المحك. إنّه المعيار الذي يَبين خيط الوطنيّة الأبيض من خيط الطائفيّة الأسود. عرفنا كيف نموت من أجل الدفاع عن الأرض وعرفنا جميعًا حتى الآن كيف نكبرُ بمصالحنا وعصبيّاتنا، ولكن آن الأوان أن نثبِت كيف نبني الدولة الجديدة بلبنان وبمستقبله". آن الأوان أن نُثبِت كيف نعيش وكيف نربّي من أجل دولة. إنّ الولاء للجزء – وأقول ذلك مع قداسة البابا فرنسيس – هو طعنٌ لكلّ الولاء للكلّ. وأن تربّي على روح الولاء للدولة هو أن تربّي لا على احترام القانون وحفظه فقط، بل على محبّته أيضًا لأنّ القانون بما فيه من عدل وثواب وعقاب يحمينا جميعًا، وقيام الدولة وانتعاشها يتطلّبان منّا جميعًا، من المواطن كما من الاقتصادي والسياسي، شيئًا من التضحية. فهلاّ استلهمنا من الدين، أكان الإسلام أو المسيحيّة، وهو المؤسَّس على التضحية، فتهبُّ فينا روحُ المسؤوليّة لإنهاض الدولة وكرامة الدولة بالنضال والتضامن ونشر روح التفاؤل حيال مؤسّساتنا ؟ لأنّ الدولة تتجسّد في مؤسّساتها العسكريّة والمدنيّة فتحيّة لتلك المؤسّسات التي بالرغم من كلّ الظروف تقف صامدة بوجه من يريدون لهذا الوطن الأذى والهوان.

وأقول **رابعًا** إنّ لبنان والديموقراطيّة هما صنوانٍ وإنّ التربية المستمرّة على الديموقراطيّة هي رسالةٌ من بين رسالاتها، وهذا الأمر خبرناه ونختبره سنويًّا ها هنا في جامعتنا، حيث إنّ ممارسة الديموقراطيّة وحريّة الاختيار لها يومٌ مقدّس في شهر تشرين الثاني من كلّ سنة، يتوجّه فيه الطلاّب للاقتراع من خلال النظام الانتخابي النسبي. إنّه يوم انتخاب الهيئات الطلاّبيّة في جامعة هي صورة مصغّرة عن لبنان التعدّدي، الغارق أحياناً في انتماءاته الضيّقة وعصّبياته وشعاراته الفئويّة. وإن توقّفنا سنة عن الممارسة الديموقراطيّة، فلأنّنا كنّا في خوفٍ عميق حيال مصير الديموقراطيّة والحريّة، فكرّسنا عملاً، سنة بعد سنة، لا فقط لتهدئة النفوس وهذا

واجب، بل لإطلاق البرامج والأنشطة ومنها ما هو أكاديمي، للتدرُّب على الديموقراطيّة وممارسة الحق في الانتخاب بروح المواطنيّة، عبر تعلُّم المحاورة في المواضيع الاجتماعيّة والسياسيّة، وإنشاء البرلمان الطلاّبي ومجلس الطلاّب ووضع قواعد واضحة لتنظيم عمل الهيئات الطلاّبية لتكون نافعة للطلاّب. وبالتالي فإنّنا نشرح قائلين إنّ الحريّة هي مجرّد مفهوم، وإنّ ما هو أهمّ هو أن نكون أحرارًا في خياراتنا وأنّ الديموقراطيّة عندما نُمارسها إنّما نمارس سيادتنا على تفكيرنا وقرارنا وأنّ حدود الحريّة التي أمارسها هي حريّة غيري في رأيه فلا مجال أن يكون التهديد والوعيد هو الطريق إلى السلطة والسيادة. وأضيف هنا خاتمًا أنّ التربية على الديموقراطيّة اللبنانيّة تعطي بأن يتعرّف كلُّ شاب وشابة ونحن أيضًا على ما هي خصوصيّة هذا الوطن، وما هي الفكرة الإبداعيّة في مجتمعنا اللبناني، ألا وهي نموذجيّة العيش المشترك فنمارس الديموقراطيّة للدفاع عنه وجعله رسالة لبنان إلى هذا الشرق وإلى العالم.

وأنهي قائلاً :

هذه الجائزة التي تحمل اسم رئيس آمَن بالتربية والميثاق والدولة والديموقراطيّة ودعا لها هي شرفٌ نعم، بل هي مسؤوليّة في متابعة المسيرة، مسيرة جمع اللبنانيّين في لبنان المقيم ولبنان المنتشر حول قِيَم الإيمان والعدالة والحوار والتضامن والالتزام بالقوانين. هي دعوة إلى متابعة النضال متّحدين متضامنين من أجل لبنان العلم والثقافة والتنوير والمبادرة إلى الخير، لبنان النخبة والقدوة والعطاء.

يقول الأب بيتر هانس كولفنباخ الرئيس الأسبق للرهبانيّة اليسوعيّة وقد كان طويلاً أستاذ الألسنيّات في جامعتنا : "الجامعة اليسوعيّة لها دورٌ تميّزت به بين كلّ الجامعات اليسوعيّة في العالم. إنّها لعبت دورًا أساسيًّا في انبعاث الوعي العام لدى أمّة من بين الأمم. وعندما يقول الرئيس هراوي أن الجامعة اليسوعيّة كانت أساسًا في النهضة العربيّة، فذلك كلّه يتطلّب منّا جامعيًّا أن نعمل على انبعاث وعي الأمّة لذاتها مجدّدًا وعلى الاستمرار في النهضة اللبنانيّة العربيّة الرائدة.

عشتم،

عاش الرئيس الياس هراوي في ذكراه العاشرة،

وعاش لبنان.